الطبعة الثانية المصححة والمنقحة

شرح

أصول الكافي

تأليف

المولى محمد صالح المازندراني

المتوفى ١٠٨١ هجري

مع التعليقات القيمة

للميرزا أبو الحسن الشعراني

المتضمنة لكتاب

الكافي في الأصول والروضات

الطبعة الثانية المصححة والمنقحة

تحقيق

السيد علي عاشور

الجزء السابع

دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

مؤسسة التاريخ العربي
بيروت - لبنان

١٧١ - باب مَوْلِدِ الزَّهْرَاءِ فَاطِمَةَ عليها السلام

وُلِدَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وعَلَى بَعْلِهَا السَّلَامُ بَعْدَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله بِخَمْسِ سِنِينَ وتُوُفِّيَتْ عليها السلام ولَهَا ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً وخَمْسَةٌ وسَبْعُونَ يَوْماً، وبَقِيَتْ بَعْدَ أَبِيهَا صلى الله عليه وآله خَمْسَةً وسَبْعِينَ يَوْماً.

١ - مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ ابْنِ رِئَابٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام مَكَثَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله خَمْسَةً وسَبْعِينَ يَوْماً، وكَانَ دَخَلَهَا حُزْنٌ شَدِيدٌ عَلَى أَبِيهَا، وكَانَ يَأْتِيهَا جَبْرَائِيلُ عليه السلام فَيُحْسِنُ عَزَاءَهَا عَلَى أَبِيهَا، ويُطَيِّبُ نَفْسَهَا، ويُخْبِرُهَا عَنْ أَبِيهَا ومَكَانِهِ، ويُخْبِرُهَا بِمَا يَكُونُ بَعْدَهَا فِي ذُرِّيَّتِهَا وكَانَ عَلِيٌّ عليه السلام يَكْتُبُ ذَلِكَ.

٢ - مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ الْعَمْرَكِيِّ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَخِيهِ، أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام صِدِّيقَةٌ شَهِيدَةٌ وإِنَّ بَنَاتِ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَطْمَثْنَ.

٣ - أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ رَحِمَهُ اللهُ رَفَعَهُ وأَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهُرْمُزَانِيُّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: لَمَّا قُبِضَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام دَفَنَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سِرّاً وعَفَا عَلَى مَوْضِعِ قَبْرِهَا، ثُمَّ قَامَ فَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَنِّي، والسَّلَامُ عَلَيْكَ عَنِ ابْنَتِكَ وزَائِرَتِكَ والْبَائِتَةِ فِي الثَّرَى بِبُقْعَتِكَ، والْمُخْتَارِ اللهُ لَهَا سُرْعَةَ اللَّحَاقِ بِكَ، قَلَّ يَا رَسُولَ اللهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي وعَفَا عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي بِسُنَّتِكَ فِي فُرْقَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ وفَاضَتْ نَفْسُكَ بَيْنَ نَحْرِي وصَدْرِي، بَلَى وفِي كِتَابِ اللهِ لِي أَنْعَمُ الْقَبُولِ، إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، قَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ وأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ وأُخْلِسَتِ الزَّهْرَاءُ، فَمَا أَقْبَحَ الْخَضْرَاءَ والْغَبْرَاءَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ وأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، وهَمٌّ لَا يَبْرَحُ مِنْ قَلْبِي أَوْ يَخْتَارَ اللهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا مُقِيمٌ، كَمَدٌ مُقَيِّحٌ، وهَمٌّ مُهَيِّجٌ، سَرْعَانَ مَا فَرَّقَ بَيْنَنَا وإِلَى اللهِ أَشْكُو، وسَتُنْبِئُكَ ابْنَتُكَ بِتَظَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ واسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، فَكَمْ مِنْ غَلِيلٍ مُعْتَلِجٍ بِصَدْرِهَا لَمْ تَجِدْ إِلَى بَثِّهِ سَبِيلاً، وسَتَقُولُ ويَحْكُمُ اللهُ وهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا قَالٍ ولَا سَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ، وإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ، وَاهَ وَاهاً والصَّبْرُ أَيْمَنُ وأَجْمَلُ، ولَوْ لَا غَلَبَةُ الْمُسْتَوْلِينَ لَجَعَلْتُ الْمُقَامَ واللَّبْثَ لِزَاماً مَعْكُوفاً، ولَأَعْوَلْتُ إِعْوَالَ الثَّكْلَى عَلَى جَلِيلِ الرَّزِيَّةِ، فَبِعَيْنِ اللهِ تُدْفَنُ ابْنَتُكَ سِرّاً وتُهْضَمُ حَقَّهَا وتُمْنَعُ إِرْثَهَا، ولَمْ يَتَبَاعَدِ الْعَهْدُ ولَمْ يَخْلَقْ مِنْكَ الذِّكْرُ، وإِلَى اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ الْمُشْتَكَى، وفِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَحْسَنُ الْعَزَاءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ، وعَلَيْهَا السَّلَامُ والرِّضْوَانُ.

باب
مولد الزهراء فاطمة عليها السلام

ولدت فاطمة عليها وعلى بعلها السلام بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس سنين وتوفّيت عليها السلام ولها ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً وبقيت بعد أبيها صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً.

*** الشرح:**

قوله (مولد الزهراء) الزهراء والزهرة البياض المنير المشرق وهو أحسن الألوان وسميت فاطمة عليها السلام بالزهراء لبياض وجهها وإشراق لونها وكمال حسنها وبهجتها وكثرة خيرها.

*** الأصل:**

٢ ـ محمد بن يحيى، عن العمركيّ بن عليّ، عن عليّ بن جعفر، عن أخيه أبي الحسن عليه السلام قال: **إنّ فاطمة عليها السلام صدّيقة شهيدة وإنّ بنات الأنبياء لا يطمثن.**

*** الشرح:**

قوله (قال إن فاطمة عليها السلام صدّيقة شهيدة) الصدّيقة فعيلة للمبالغة سميت بها لشدة تصديقها بما جاء به أبوها، ولتصديق قولها بالفعل والعمل، والشهيد من قتل من المسلمين في معركة القتال المأمور به شرعاً، ثم اتسع فأُطلق على كل من قتل منهم ظلماً كفاطمة عليها السلام إذ قتلوها بضرب الباب على بطنها وهي حامل فسقط حملها فماتت لذلك، وسميت شهيدة لشهادة الله تعالىٰ وملائكته لها بالجنة أو لاتصافها بالحياة كأنها شاهدة حاضرة لم تمت، أو لأنها تشهد ما أعد الله لها من الكرامة فهي فعيلة بمعنى فاعلة أو مفعولة على اختلاف التأويل.

*** الأصل:**

٣ ـ أحمد بن مهران رحمه الله رفعه وأحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبّار الشيباني، قال حدّثني القاسم بن محمد الرّازي قال: حدّثنا عليُّ بن محمد الهرمزاني، عن أبي عبد الله الحسين بن عليّ عليهما السلام قال: لمّا قبضت فاطمة عليها السلام دفنها أمير المؤمنين سرّاً وعفا على موضع قبرها، ثمّ قام فحوّل وجهه إلىٰ قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: **السلام عليك يا رسول الله عنّي والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك والبائتة في الثرى ببقعتك والمختار الله لها سرعة اللّحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري وعفا عن سيّدة نساء العالمين تجلّدي، إلّا أنّ لي في التأسّي بسنّتك في فرقتك موضع تعزّ فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك وفاضت نفسك بين نحري وصدري، بلى وفي كتاب**

الله [لي] أنعم القبول إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة وأُخذت الرهينة وأُخلست الزهراء فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله، أمّا حزني فسرمد وأمّا ليلي فمسهّد، وهمٌّ لا يبرح من قلبي أو يختار الله لي دارك الّتي أنت فيها مقيم، كمدٌ مقيّحٌ وهمٌّ مهيّجٌ سرعان ما فُرق بيننا وإلى الله أشكو وستنبّئك ابنتك بتظافر أُمّتك على هضمها فاحفها السؤال واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلىٰ بثّه سبيلاً وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين سلام مودّع لا قال ولا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملالة وإن أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين، واه واهاً والصبر أيمن وأجمل ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللّبث لزاماً معكوفاً ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرّزيّة، فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً وتهضم حقّها وتمنع إرثها ولم يتباعد العهد ولم يخلق منك الذكر وإلى الله يارسول الله المشتكى، وفيك يارسول الله أحسن العزاء صلّى الله عليك وعليها السلام والرضوان(١).

*** الشرح:**

قوله (ببقعتك) دل على أنها عليها السلام دفنت في بيتها(٢) وبيتها قريب من بيته صلى الله عليه وآله.

قوله (والمختار الله لها سرعة اللحاق بك) والمختار اسم فاعل مضاف إلىٰ الفاعل والالف واللام فيه موصولة والسرعة مفعولة و«بك» متعلق باللحاق أي التي اختار الله تعالىٰ لها سرعة اللحاق بك، وفيه إظهار التفجع والتشكي إليه من سرعة تواتر المصائب عليه بموته وموتها عقيبه، ثم أشار إلى التشكي إليه من قلة صبره ورقة تجلده وزوال قوة تحمله للمصيبة بها بقوله: «قل يا رسول الله عن صفيتك» أي عن مصيبتها «صبري» وعفى أي انمحى وزال عن سيدة نساء العالمين تجلّدي أي جلادتي وقوتي، وقوله: «في صفيتك» إشارة إلىٰ ما كان له صلى الله عليه وآله في حقها من التعظيم والإكرام والتبجيل مالم يكن في حق غيرها حتى قال القرطبي على ما نقل عنه الآبي في كتاب إكمال الإكمال: إن فاطمة رضي الله عنها أحب بناته صلى الله عليه وآله وأكرمهن عنده وسيدة نساء الجنّة وكان صلى الله عليه وآله إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيصلي ركعتين ثم أتى بيت فاطمة رضي الله عنها فيسأل عنها ثم يدور على نسائه إكراماً لفاطمة واعتناء بها.

---

١ ـ الكافي: ١ / ٤٥٨.

(٢) قوله «دفنت في بيتها» هو الأظهر في العقل أيضاً لأنَّ الدفن في البيت كان معهوداً متداولاً، وكان الغرض إخفاء موتها، وكان دفنها في بيتها صلوات الله عليها أوفق بهذا الغرض، وأما الدفن في الروضة، وهو من المسجد فغير معقول في ذلك العصر وبعده، وأما البقيع فلم يكن حاجة إليه، ولم يكن يوافق غرض الإخفاء ولم يرد إلّا في بعض روايات ضعيفة لا اعتماد عليها. (ش)

قوله (إلّا أن لي في التأسي بسنّتك في فرقتك موضع تعز) التأسي هنا إما بمعنى الاقتداء أو التعزي وهو التصبر عند المصيبة، وهذا كالعذر والتسلية لنفسه القدسية بأن مصيبة صفيتك وإن كانت عظيمة يقل بها صبري ويرق لها تجلدي فإن المصيبة بفراقك أجل وأعظم والبلية بموتك أكمل وأفخم، كما صبرت على هذه أصبر على تلك بطريق أولى، وفي بعض النسخ موضع ثغر بالثاء المثلثة والغين المعجمة وهو تصحيف، ولعل المراد على تقدير ثبوته أن لي بسنتك في فرقتك موضع ثغر أي موضع مخافة لهجوم الأعداء علي، ولي أُسوة بها في فرقة صفيتك يعني حصل لي بذلك أيضاً موضع ثغر ومخافة لهجومهم والأنسب بهذا المعنى أن يقرأ (ألا) بالتخفيف للتنبيه و«إن» بكسر الهمزة.

قوله (فلقد وسدتك في ملحودة قبرك) الوساد والوسادة المخدة وقد وسدته الشيء فتوسده جعلته تحت رأسه. واللحد الشق المائل في جانب القبر يقال: لحدت القبر فالقبر ملحود وألحدته فهو ملحد، وإضافة الملحودة إلىٰ القبر بيانية وتأنيثها باعتبار القطعة أو البقعة وفيه إظهار للتفجع بمصيبته به ﷺ والتوجع بمقاساته ألم الفراق منه كما في قوله «وفاضت نفسك» أي خرجت روحك «بين نحري وصدري» فإن أعظم المصائب وأشد الالام أن يخرج روح أحب الخلق إلىٰ الرجل ورأسه في صدره، ويدفنه في قبره بيده.

قوله (بلى وفي كتاب الله لي أنعم القبول) أي أطيب القبول وأحسنه وهو كناية عن الرضاء بقضاء الله وبما أثبته في كتابه قال جل شأنه: ﴿**إنك ميّت وإنهم ميّتون**﴾ وقال ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ .

فإن قلت: بلى ايجاب بعد النفي أو الاستفهام كما إذا قيل: لم يقم زيد أو ألم يقم فقلت: بلى، كان المعنى قد قام وليس هنا بعدهما ؟ قلت هذا الكلام استئناف جواب عما يقال: أليس في كتاب الله ما ينعم البال ويطيّب النفس بمثل تلك المصيبة؟ ثم تمسك بالله وفوض أمره إليه وأقر بملك الأشياء كلها له وجريان حكمه عليها بقوله: ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ وامتثالاً لقوله عزّوجلّ: ﴿**وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون**﴾ [1] ثم رجع إلىٰ ما ورد عليه جديداً من مصيبة الزهراء وإظهار التوجع عليها فقال: قد استرجعت الوديعة وأُخذت الرهينة، كما هو شأن أصحاب المصائب المكاثرة حيث يذكرون بعضها في بعض وينتقلون من بعضها إلىٰ بعض، وإطلاق الوديعة والرهينة على نفسها القدسية المطهرة من باب الاستعارة، ووجه الاستعارة الأولى أن المرأة عند الزوج كالوديعة كما يقال: النساء ودائع الكرام، أو أن النفس في هذا البدن

---

١ ـ سورة البقرة : ١٥٦ .

تشبه الوديعة في رجوعها إلىٰ مالكها وقتاً ما، ووجوب حفظها من المهلكات. ووجه الثانية أن النفس رهينة بما كسبت ومعناه أن الكسب لازم لها لابد منه. فشبهها في لزومه لها وعدم انفكاكه منها بالرهن في يد المرتهن.

قوله (واخلست الزهراء) يقال خلست الشيء أي استلبته. واخلست فلافاً أي أخذت حقه، والخلسة ـ بالضم ـ ما يؤخذ سلباً ومكابرة، والغرض منه إما الإخبار والتعجب أو التحسر من وقوع الظلم عليها وغصب حقها عليها الصلاة والسلام.

قوله (فما أقبح الخضراء والغبراء) الخضراء السماء والغبراء الأرض ومن شأن العرب أنه إذا شاع الشر في أهل الأرض وانتشر الجور فيهم واشتهر القبح منهم وأرادوا المبالغة في ذمهم والإشعار بعموم قبائحهم نسبوا ذلك إلىٰ الزمان والمكان والسماء والأرض لقصد التعميم والشمول في ذمهم وليس في قصدهم من ذلك ذم هذه الأشياء وأمثال ذلك كثيرة شائعة في كلام الفصحاء والبلغاء.

قوله (أما حزني فسرمد) أي دائم طويل، ولما وصف نفسه بالصبر جاء بهذا الكلام دفعاً لتوهم ان ذلك بسبب تنزل الحزن والهم وتنقصهما.

قوله (وأما ليلي فمسهّد) المسهد اسم مكان من السهاد وهو الأرق والسهر والمحزون لا ينام في الليل.

قوله (وهم لا يبرح) هم مبدأ موصوف بجملة بعده وكمد خبره وهو بالتحريك الحزن المكتوم أو الكاف للتشبيه والمد بالكسر والتشديد وهو القيح و«أو» في قوله «أو يختار الله» بمعنى إلىٰ أن، والمراد بدارك الجنة أو القبر، وبالهم المهيج هم يتبعه هم آخر والهم في الأصل الإذابة ثم اطلق على الحزن المقلق المذيب للبدن يقال أهمه الأمر إذا أقلقه وأحزنه وأذابه، ومنه قولهم: همك ما أهمك أي أذابك ما أحزنك، وقولهم للمحزون المغموم: مهموم.

قوله (سرعان ما فرق بيننا) سرعان مثلث الفاء اسم فعل يرفع ما بعده بمعنى سرع وقرب مع تعجب أي ما أقرب وما أسرع، وما عبارة عن الموت.

قوله (وإلى الله أشكو) تقديم الظرف للحصر، والشكوى أن تخبر عن مكروه أصابك وهو ممدوح بالنسبة إلى الله وإلى أوليائه لا إلىٰ أعدائه فإنه شكاية عليه وهو مذموم.

قوله (بتظافر أُمتك علىٰ هضمها) أي إمداد بعضهم بعضاً وتوافقهم على كسر حرمتها وغصب حقوقها وتفصيل ذلك مذكورة في كتب العامة والخاصة.

قوله (فاحفها السؤال واستخبرها الحال) أي بالغ واستقص في السؤال منها واستخبرها حالي

وحالها في الحزن وحال الأُمة عما فعلوا بعدك، وفيه إشارة إلىٰ غاية حزنها ونهاية غيظه ﷺ منهم.

قوله (فكم من غليل معتلج بصدرها) «كم» خبرية للتكثير، والغليل الضعف والغيظ والحزن، والاعتلاج الالتطام وهو ضرب الوجه ونحوه بالكف يقال: اعتلجت الأمواج إذا التطمت.

قوله (سلام مودع لا قالٍ ولا سئمٍ) يقال قلاه فهو قالٍ إذا أبغضه وسئم يسأم فهو سئم إذا مل وضجر أي لا مبغض لزيارتكم ولا ضجر للقيام عندكم وهذه صورة وداع المحبين الناصحين بحسب مجاري العادة.

قوله (فإن أنصرف)[1] لما كان الانصراف عن قرب الحبيب والقيام عنده أبداً يوهم الملالة وعدم الصبر يعني سوء الظن بما وعد الله الصابرين نفاهما للدلالة على أن كلاً منهما بسبب أمر آخر وأما ما وعد الله الصابرين على نزول المصائب فهو صلواته ورحمته وهدايته في قوله جل شأنه: **﴿وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا إليه راجعون أُولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأُولئك هم المهتدون﴾**.

قوله (واه واهاً) الظاهر أن الواوين للعطف والربط قال ابن الاثير في النهاية: «اوه» كلمة يقولها الرجل عند الشكاية والتوجع. وهي ساكنة الواو. مكسورة الهاء. وربما قلبوا الواو ألفاً فقالوا: «آه من كذا» وربما شددوا الواو وكسروها وسكنوا الهاء فقالوا: أوه. وربما حذفوا الهاء فقالوا «أو» وبعضهم يفتح الواو مع التشديد فيقول «اوه» وقال الزمخشري في الفايق: آهاً كلمة تأسف وانتصابها على إجرائها مجرى المصادر كقولهم: ويحاً له، وتقدير فعل ينصبها كأنه قال تأسفاً على تقدير أتأسف تأسفاً.

قوله (والصبر أيمن وأجمل) أي من الجزع وبث الشكوى ووجود الجمال فيهما لما فيهما من ثلج الصدر وليس الغرض منه الإخبار بل تسلية النفس وحملها على الصبر أو مجرى العادة فإن الإنسان كثيراً ما يقول ذلك إذا أصابه مكروه.

قوله (ولولا غلبة المستولين) لعل المراد بغلبتهم ترددهم إليه وعدم تركهم إياه بحال ويحتمل أن يراد بها التعيير والتوبيخ أيضاً.

قوله (ولا عولت إعوال الثكلى) العول والعولة رفع الصوت بالبكاء يقال: منه أعول، والثكلى امرأة مات ولدها.

---

(١) «فإن أنصرف فلا عن ملالة» لا يدل على خلاف ما عليه محققو علمائنا من الدفن في البيت لأنَّ الانصراف ليس بمعنى الانتقال من مكان إلىٰ مكان بل من حال مطلقاً إلىٰ حال ولذلك يطلق على سلام الصلاة الانصراف ويقال: ينصرف، أي يتم صلاته ويسلّم فمعنى أنصرف أي أترك المكالمة. (ش)

قوله (فبعين الله) أي أستعين بذات الله أو بشهوده وحضوره أو أعوذ بها من شر الخلائق تدفن ابنتك سراً من أجل شرورهم ويهضم حقها ويمنع إرثها. وفيه إظهار للتوجع والتحسر مما فعلوه وارتكبوه من الظلم عليها. روى مسلم بإسناده عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها أخبرته «أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلىٰ أبي بكر تسأله ميراثها من أبيها مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: **لا نورث ما تركناه صدقة**، فأبى أن يدفع إلىٰ فاطمة شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر[1] في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد أبيه ستة أشهر لما توفيت دفنها زوجها علي ابن أبي طالب ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر[2] وصلى عليها علي وكان لعلي وجهة حياة فاطمة[3] فلما توفيت استنكر على وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن بايع تلك الأشهر فأرسل إلىٰ أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد كراهية محضر عمر بن الخطاب فقال عمر لأبي بكر لا تدخل عليهم وحدك فقال أبو بكر وما عساهم أن يفعلوا والله لأتينهم فدخل عليهم فكلمه علي ؏ وقال: **إنك استبددت علينا بالأمر**[4]

---

(١) قوله «فوجدت فاطمة على أبي بكر» ركب أصحابنا قياساً من هذا الحديث الذي رواه الشيخان وهو عندهم في غاية الاعتبار، ومن حديث آخر رواه الشيخان وغيرهما أيضاً وهو «**فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني**» وفي رواية: «**يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها**» فاستنتجوا منه أن أبا بكر أغضب رسول الله ﷺ وآذاه، وتركيب القياس هكذا: إن أبا بكر مغضوب فاطمة، وكل مغضوب فاطمة مغضوب رسول الله ﷺ فأبو بكر مغضوب رسول الله ﷺ ويجيب مجيبهم بأنا نعلم إجماع الصحابة على خلاف قول رسول الله ﷺ أي ما يستفاد من مجموع الحديثين. (ش)

(٢) قوله «لم يؤذن بها أبا بكر» خفاء قبر فاطمة من أكبر الآيات الدالة على غضب فاطمة صلوات الله عليها على المتآمرين عليها وهو متواتر وتواتر الخفاء قرينة صحة الحديث ووقوع مضمونه وعدم صلاة أبي بكر عليها متفق عليه أيضاً رواه البخاري ومسلم ولا يعبأ بما يخالفه. (ش)

(٣) قوله «كان لعلي وجهة حياة فاطمة» هذا كلام عائشة، ومعناه أن علياً ؏ في حياة فاطمة كان له من يتوجه إليه، ويستأنس به ويسر برؤيته، والوجهة ما يتوجه إليه كالقبلة ما يقبل إليه ومنه قوله تعالى: ﴿**ولكل وجهة هو موليها**﴾ فلما ماتت سلام الله عليها حزن لموتها، ولم يكن أحد يسر برؤيته، وكان جميع الناس في عينه مستنكرين، وحق له ؏ أن يستنكر بعد وفاة فاطمة جميع الكائنات كما قيل عن لسان آدم بعد قتل هابيل: «فوجه الأرض مغبر قبيح» لكن بيعته ؏ لأبي بكر لم يكن في الظاهر لاستنكاره الناس أو لإزالة غمه وحزنه كما زعمته عائشة ولكن لمصلحة رآها وأمر سبق إليه من رسول الله ﷺ ولا يختلف المؤرخون في أنه ؏ لم يبايع مادامت فاطمة حية مع تلك الهنات التي اتفقت عند باب بيتها ولم يستطيعوا أن يقهروه على البيعة بل أبى وأصر على الامتناع حتى ماتت فاطمة فأظهر الإطاعة.

(٤) قوله «انك استبددت علينا بالأمر» هذا صريح في اختلاف رأيهم في الخلافة فكان علي ؏ يرى أولويته

=

وكنا نرى أن لنا حقاً لقرابتنا من رسول الله ﷺ، فلم يزل يكلّم أبا بكر حتى فاضت عينا أبي بكر، ثم بايعه العشية».

قوله (ولم يتباعد العهد) الواو للحال يشكي إليه ﷺ منْ أمته بعده في تظافرهم على غصب حقه وحقها ﷺ وهضمها على قرب عهدهم به ﷺ وطراوة ذكره أو الذكر الذي هو القرآن الآمر بإكرام ذوي القربى.

*** الأصل:**

٤ ـ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن عبد الرحمن بن سالم، عن المفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: من غسّل فاطمة؟ قال: **ذاك أمير المؤمنين** ـ وكأنّي استعظمت ذلك من قوله ـ فقال: **كأنّك ضقت بما أخبرتك به**؟ قال: فقلت: قد كان ذلك جعلت فداك؟ قال: فقال: **لا تضيقنّ فإنّها صدّيقة ولم يكن يغسّلها إلّا الصدّيق أما علمت أنّ مريم لم يغسّلها إلّا عيسى.**

* **الشرح:** قوله (كأنك ضقت) الضيق الضجر والملال والشك في القلب.

*** الأصل:**

٥ ـ محمدُ بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن

= بالأمر وأبو بكر بالعكس، وكان وظيفة المسلمين في كل مورد اختلف هو عليه السلام مع غيره أن يتبعوا طريقته ويقبلوا قوله أما على مذهب الشيعة فواضح لعصمته وولايته. وأما عند أهل السنة فلما رووه عن النبي ﷺ: «**إن الحق مع علي يدور معه حيثما دار**» فلنا أن نركب قياساً نظير مامر من حديث غضب فاطمة هكذا: رأي أبي بكر مخالف لرأي علي عليه السلام في الخلافة (بمقتضى هذا الحديث) وكل رأي خالف رأي علي فهو مخالف للحق، فرأي أبي بكر مخالف للحق. مثله القياس المتألف من حديثين مضمون أحدهما افتراق أُمته على ثلاثة وسبعين فرقة كلهم هالك إلا واحدة، والآخر «**مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا**» فنقول من الشكل الثالث: الناجي فرقة واحدة من فرق الإسلام فقط، والناجي تبعة أهل البيت فقط، ينتج أن تلك الفرقة الواحدة هي تبعة أهل البيت فقط. وهذا طريق حسن ينجح سالكه في نقض كل شريعة باطلة ومذهب غير صحيح كما قال الله تعالى: ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً**﴾ وشأن من لا ينطق عن الله، وليس قوله مبنياً على أصل سديد أن ينسى ما التزم به يوماً فيلتزم بعده بضده، وحكى أن بعض الزنادقة كان يرى قبح الزنا إذا أكره عليه فقط لا إذا وقع برضا الطرفين وكان يرى العقد على صبية لم تبلغ ثمان عشرة سنة قبيحاً فقيل له: إن فلاناً تزوج صبية بنكاح قبل هذه السن قال: بئس ما فعل، فقيل له: سهونا في النقل إنه لم يعقد عليها وإنما زنى بها برضاها، فبهت الذي كفر إذ لم يستطع أن يعترف بعدم قبحه بعد حكمه بقبح العقد. وروي أن رجلاً سأل أبا حنيفة عن الصلوات الواجبة اليومية فأجابه هي خمس، وسأله عن الوتر فقال: هي واجبة قال الراوي: لا أدري أسهى في العدد أو في وجوب الوتر. (ش)